الأفعال الكلامية والحجاج أية علاقة؟

مقاربة نظرية في أسس التعالق بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري

Speech acts and argumentative any relationship?

A theoretical approach to the foundations of the relationship between illocutionary act and perlocutionary act.

سلطاني محمد[1]

Soltani mohammed

جامعة عمار ثليجي الأغواط

soltanimed1986@gmail.com

ملخص البحث

يهدف هذا المقال إلى محاولة رصد طبيعة العلاقة بين أهم نظريتين تداوليتين؛ وهما نظرية الأفعال الكلامية ونظرية الحجاج، من خلال رصد تجليات هذه العلاقة في فرعي الفعل الكلامي الثاني والثالث وهما الفعل المتضمن في القول والفعل الناتج عن القول عند رواد نظرية الأفعال الكلامية من جهة، باعتبارها النظرية الأثيرة في الدرس التداولي المعاصر، وعند رواد النظرية الحجاجية ولاسيما في بعض النظريات التي اهتمت بالعلاقة بينهما من جهة أخرى، محاولين الكشف عن الأطر والمعايير المنهجية التي أدت إلى فصل العلاقة أو وصلها ومدى وجاهتها كـ"المواضعة" و"القصد" في مقاربة الأفعال الكلامية، و"البساطة والتركيب" في المقاربة الحجاجية.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الأفعال الكلامية، الحجاج، الفعل الإنجازي، الفعل التأثيري.

[1] -المؤلف المرسل: سلطاني محمد: soltanimed1986@gmail.com

Abstract

This article aims to attempt to monitor the nature of the relationship between the two most important deliberative theories: They are the theory of speech acts and the theory of argumentation, by observing the manifestations of this relationship in the second and third branches of the speech act, which are the action included in the statement and the action resulting from the statement according to the pioneers of the theory of speech acts on the one hand, as it is the favorite theory in the contemporary pragmatic lesson, and among the pioneers of the theory of argumentation, especially in On the other hand, some theories were concerned with the relationship between them, trying to uncover the methodological frameworks and standards that led to separating or connecting the relationship and the extent of its relevance, such as "convention" and "intent" in the approach to speech acts, and "simplicity and composition" in the argumentative approach.

Keywords: pragmatics, speech acts, argumentation, illocutionary act, perlocutionary act.

مقدمة

شهدت ساحة الدرس اللساني في منتصف القرن العشرين منعطفين حاسمين في تناول الظاهرة اللغوية عامة، يعدان بمثابة الإبداع الثوري الذي شكل منعرجا حاسما في تناول الظاهرة اللغوية والمنطقية عامة، فأما المنعطف الأول فتمثل في الانقلاب المنهجي في النظر إلى الظاهرة المنطقية فقد ظهرت توجهات منطقية جديدة لاصورية أدركت قصور المنطق الصوري ووقفت على عجزه عن أن يكون أداة مفيدة في تفسير ووصف الظاهرة التدليلية كما تتجلى فعلا في العلوم الإنسانية الاجتماعية عامة، والتفاعل الحجاجي بشكل خاص[2]، أما المنعطف الثاني وهو قريب من قريب من الأول؛ فتمثل في بزوغ التيار الوظيفي في اللسانيات ردا على التيار البنيوي والتوليدي التحويلي اللذين أمعنا في الجانب الصوري التجريدي، ثم التيار التداولي الذي رجح الأول على الثاني بما أمده من مفاهيم ورؤى نظرية ومنهجية ، وبما أتاحه من كفاية نظرية وأخرى تفسيرية، وبما حققه من وجاهة علمية، ومعلوم أن أهم النواة المركزية والنظرية الأثيرة في الدرس التداولي هي نظرية الكلامية عند رائدها أوستين ثم سيرل، كما أن النواة المركزية في الانقلاب الثوري المنطقي

[2]-صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص14

عامة والحجاجي خاصة جاء عند الفيلسوف البلجيكي شاييم بيرلمان، ولعل أهم ما تشترك فيه النظريتان هو دراسة اللغة في السياق الطبيعي، والاهتمام بدراسة كل ما تختزنه اللغة من معان حجاجية تأثيرية صريحة ومضمرة وإيحاءات ضمنية من جهة أخرى؛ فكانت المقاربة "سدا لثغرة أحدثها قصور المقاربة الصورية الصارمة عند بعض البنيويين وبعض التوليديين عن الإحاطة بأبعاد الظاهرة اللغوية وجهاتها المتعددة من جهة وعند "[3] كما جاءت به النظرية الحجاجية المعاصرة سدا لثغرة المنطق الصوري الذي وقف دون الطموح التفسيري للظاهرة التدليلية عامة، وهو ما تكفل به المنهج التداولي/الحجاجي في دراسة اللغة في سياق استعمالها الطبيعي الواقعي[4]، وهو منهج لا يقصر دراسته على المعنى المباشر الصريح للظاهرة اللغوية، بل يدرسها في أبعادها الاستعمالية السياقية المختلفة محاولا سبر أغوارها، وما توحي به من معانٍ ضمنية كثيفة ..لا تتوفر دائما في البنية السطحية، كما يدمج عدةَ علوم ومعارف في دراسة وفهم الظاهرة اللغوية جاعلا من علوم الإنسان وعلوم اللسان وحدة متكاملة لفهم الظاهرة اللغوية وتحليلها وإدراك علاقاتها الكاشفة عن بعدها الفعلي الإنجازي، بوصفها ثمرة التفاعل المستمر بين بنية المقال ومقتضيات المقام[5] .

1-في إشكالية العلاقة بين نظرية الفعل الكلامي ونظرية الحجاج

وعلى الرغم من أن النظريتين ظهرتا في وقت واحد تقريبا بين 1955تاريخ إلقاء محاضرات جون أوستين المشهورة باسم "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" في جامعة هارفارد، وبين سنة 1958 تاريخ صدور كتاب "المصنف في الحجاج البلاغة الجديدة" لشاييم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا، وما شهدته

---

[3] - صحراوي، مسعود، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن. ط1، 2022، ص17

[4] -ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص16.

[5] -ينظر: مسعود صحراوي، ديباجة مؤتمر البلاغة بين الأصول التراثية والرؤى الحديثة، أقيم في كلية الأداب واللغات جامعة الأغواط يوم 13.14 ديسمبر2018.

النظريتان من تعميق وتطوير وتوسع لاسيما عند سيرل في الأفعال الكلامية، وعند كل من ميشال مايير وديكرو وأنسكومبر وفان إيمرن وروب غروتندورست وغيرهم في الحجاج، وعلى الرغم كذلك مما تشترك فيه النظريتان في المنهج والرؤية من جهة، وفي أن كليهما يتناولان الظاهرة اللغوية خاصة، بالإضافة إلى اشتراكهما في الاهتمام بالبعد السياقي الاستعمالي للغة، وكذا البعد الفعلي الإنجازي لها، نقول على الرغم من هذا الاشتراك والتقاطع الذي تشترك فيه النظريتان في الرؤية والمنهج وعناصر التحليل والظاهرة المدروسة إلا أن الملاحظ أن النظريتين ظلتا بعيدتين عن بعضهما البعض؛ فلم تُمدّ جسور الاشتراك بينهما إلا لماما، ولم تكن هناك دراسات نظرية تكشف عن الصلات الوثيقة بين النظريتين على المستوى النظري إلا قليلا -فيما اطلعنا عليه – أما على المستوى الإجرائي فإن الصلة وثيقة بينهما مادام أنهما يهتمان بالجانب الفعلي الإنجازي في اللغة، وبالبعد المقامي لها كما تجري في سياقها الطبيعي، وبالجملة لم يكن هناك اهتمام كبير يتعلق بالعلاقة النظرية والإجرائية بين الأفعال الكلامية وبين الحجاج، وبعبارة إشكالية ماهي حدود العلاقة بين الأفعال الكلامية وبين الحجاج؟ وبما أن الخطاب الحجاجي متكون في أصله من أفعال كلامية؛ فإلى أي مدى يمكن اعتبار الحجة فعلا كلاميا؟ أو اعتبار الفعل الكلامي حجةً؟ وهي أسئلة نروم في هذا البحث محاولة الإجابة عنها؛ مسترشدين بما تتيحه الإسهامات المؤسِّسة لنظرية الأفعال الكلامية لاسيما عند رائديها أوستين وسيرل من جهة، وعند رواد النظرية الحجاجية ولاسيما بيرلمان وديكرو وخاصة مقاربة فان إيمرن وروب غروتندورست التي تعد من أهم النظريات التداولية التي طرحت مشكل العلاقة بين الحجاج والأفعال الكلامية على بساط البحث والنظر والدراسة من جهة ثانية، مع الإشارة إلى بعض الدراسات التي اهتمت بهذه العلاقة بين النظريتين التداوليتين على مستوى التنظير خاصة كما سنبينه في سياقه من هذا البحث، أما على المستوى الإجرائي فإن العلاقة بينهما لا تحتاج إلى إيضاح لأن الخطاب الحجاجي مكون في أصغر وحداته من أفعال كلامية كما هو معلوم.

1-1-عند أوستين

يمكن تلخيص الثورة التجديدية التي قام بها أوستين المؤسس الأول والأهم للتداولية عامة ولنظرية الأفعال الكلامية خاصة في مستويين أساسيين هما "مستوى نقد طرائق الفلاسفة السابقين، ومستوى إبداع واستحداث فلسفة لغوية جديدة غير مألوفة في التراث الغربي"[6]، وقد أدّى به هذا الإبداع الثوري إلى المرور بمرحلتين مهمتين تمثلت الأولى في تمييزه بين الأقوال التي تحقق أفعالا والأقوال التي تصف واقعا، وفي المرحلة الثانية دمج الثانية في الأولى لتصبح الأقوال التي تصف واقعا حالة خاصة جدا من الأفعال التي تصنع أفعالا[7]؛ ليصل إلى نتيجة مفادها "اعتبار القول هو الفعل"، ثم إدت به هذا التغيير الجذري في النظرة إلى اللغة ووظيفتها إلى تفريع الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال متزامنة تحدث في نفس الوقت ولاسيما الأول والثاني، وصاغ تعريفا للفعل الكلامي، بالإضافة إلى القيام باقتراح تصنيف للأفعال المتضمنة في القول[8]، فقد عرف الفعل الكلامي بأنه:"الفعل المؤسس من قبل متكلم يتمتع بصلاحيات معينة"[9]، أما تفريعه للفعل الكلامي فقد جاء على التالي:

فعل القول: ويقصد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة

الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي لأنه عمل ينجز بقول ما" وهو المقصود من النظرية برمتها ولذلك أطلق على ما توصل إليه من تصنيف الأفعال الكلامية بـ"الأفعال الإنجازية"

---

[6] - صحراوي، مسعود، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة، الأردن، ط1، 2023، ص124

[7] -آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2016، ص154

[8] -ينظر: نفس المرجع، ص125.

[9] - ينظر: نفس المرجع، ص141.

والفعل الناتج عن القول أو الفعل التأثيري: يتمثل فيما يتركه المتكلم "أحيانا أو العادة حدوث بعض الآثار في إحساسات المخاطب وأفكاره أوتصرفاته" [10] أي في الاعتقادات والسلوكات، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط...[11]

ويمثل الفعل التأثيري بؤرة اهتمامنا في هذا البحث بوصفه ذا علاقة وثيقة بالحجاج والإقناع؛ لذلك ينصب عليه تحليلنا في هذه الصفحات.

وإذا كان ما سبق من أن الفعل المتضمن في القول هو المقصود بنظرية الافعال الكلامية قاطبة، فإن الفعل التأثيري (الناتج عن القول) قد مثّل حسب شكري المبخوت إلى جانب فعل القول، الجانب الضعيف من النظرية[12] ، ويرجع ذلك جملة من المشاكل والصعوبات أشار إليها أوستين، ويضيف المبخوت أن "عدم الاهتمام بالفعل التأثيري أدى إلى وقوع التباس في فهم النظرية باعتبار الفعل المتضمن في القول تغييرا لحالة الأشياء في الكون أو تغييرا لاعتقادات المخاطب أو سلوكه"[13].

على أن أهم ما يهمّنا هو تصورٌ طبيعة العلاقة بين الفعل المتضمن في القول باعتباره فعلا إنجازيا وبين الفعل التأثيري باعتباره فعلا إقناعيا حجاجيا عند رائد النظرية، فقد لاحظ أوستين أن الفعل الكلامي يحدث بعض التأثيرات تتصل إما بالمخاطب وإما بالمتكلم من جهة، ومن جهة أخرى لاحظ أن هذه الآثار إما نفسية ذهنية في الأفكار والمشاعر والاعتقادات، وإما عملية في السلوك، والأهم من ذلك بخصوص العلاقة بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري أن هذه الفعل

---

[10] -أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ط1، 1991.

[11] -ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص143 .

[12] -شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية، ميسكلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص65

[13] -ينظر: نفس المرجع، ص65

التأثيري(الإقناعي /الحجاجي) لا يحيل على فعل القول والفعل المتضمن في القول إلا بصفة غير مباشرة أو لا يحيل عليه البتة[14].

ويضرب أوستين لذلك مثالا يفرق فيه بين عبارتين، الأولى (بقولي كذا، فقد وقع التحذير من جانبي)، والثانية (بقولي كذا ؛ كنت أقنعته أو كففته عن الفعل)معلقا بأن "هذا الضرب من التمييز بين هاتين المقولتين قوة فعل الكلام ولازم فعل الكلام هو الذي يشعرنا باحتمال وجود الصعوبات وتمكنها"[15] وتتمثل الصعوبات الأساسية كما يستشف من كلام أوستين في قضيتين أولها المواضعة غير اتفاقية والغرض منها الوصول إلى هدف وإنتاج تبعات القول"[16]، وثانيهما "قصد التصرف" أو القصد فإن خلوّ الفعل التأثيري من المواضعة ومن القصد هو الذي جعل أوستين يرسم" خطا فاصلا بين ما ننجز من فعل ونحققه (وهنا قوة فعل الكلام) وبين آثاره ونتائجه"[17].منوها عقب ذلك بأن المسألة في غاية التعقيد.

وعلى الرغم من هذه الصعوبة التي أدّت به أن يفصل فصلا حاسما بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري بوصف الأول قصديا ومتواضعا عليه، وبكون الثاني غيرَ قصدي ولا مواضعة فيه، فإن أوستين من خلال بعض الأمثلة التي ضربها في سياق تدليله على إنجازية الفعل الكلامي اضطر إلى نفي البعد الحجاجي التأثيري عنها مقتصرا على إثبات إنجازيتها أي إثبات الغرض من القول كما في المثال التالي :"في حال قولي: أن السماء ممطرة لم أكن مراهنا ولا مجادلا ولا محذرا، وإنما كنت مثبتا لهذه الحال كواقعة، فحال الإثبات هنا يجب أن تعامل معاملة الاحتجاج والمراهنة والتحذير، وبنفس المستوى"[18]. والحقيقة أن هذا القول قد يكون غرضه الجدال (الحجاج)، كما قد يكون

---

[14]-ينظر: نفس المرجع، ص66

[15]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص132

[16] -Catherine Kerbrat-Orecchioni. Les actes de langage dans le discours. Nathan. paris. p22

[17]- - نفس المرجع، ص132.

[18]-نفس المرجع، ص156

غرضه التحذير؛ وهو الأرجح لاسيما في سياق المحاججة للإقلاع عن السفر مثلا؛ فيكون هذا القول-في هذا السياق- تحذيرا من السفر بسبب أن السماء ممطرة ...

وفي مثال آخر: "حال قولي أن ذلك قد جرّنا إلى البطالة وعدم التشغيل، لم أكن محذّرا ولا محتجّا، بل كنت فقط مثبتا لهذه الوقائع"[19]، غير أن في هذا المثال الثاني تحذيرا وحجاجا بلا شك، لأن المتكلم بهذه العبارة قد ذكر السبب المؤدي إلى البطالة وعدم التشغيل، وقد كان محقّا في أن القوة الإنجازية لهذا الفعل هي الإثبات، ولكنه ليس القوة الإنجازية الوحيدة؛ إذ توجد قوتان على الأقل ولكنهما قوى غير المباشرة هي التحذير والحجاج، وربما توجد أغراض أخرى له حسب السياق الذي يقال فيه، على أن ما يعطي لأوستين العذر في ذلك هو أن القوى الإنجازية غير المباشرة لم تكتشف بعد، ولم يخصص لها مكان في النظرية إلا مع سيرل فيما بعد، لذلك ركز على القوى المباشرة فقط، وهو الأمر الذي جعل سيرل يسدّ هذا الخلل فيما بعد بتخصيص حيّز مهم للقوى الإنجازية غير المباشرة في نظرية الأفعال الكلامية، ولعل هذه القضية (القوة الإنجازية غير المباشرة) من الأسباب التي جعلت أوستين يؤكد على الفصل بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري لكونها لا تخضع للمواضعة ولا للتحديد .

1-2-عند سيرل

[19]-نفس المرجع، ص156

عرفت نظرية الأفعال الكلامية مع سيرل الاستقرار النهائي كما عرفت تنظيما محكما نظريا ومنهجيا، ويلخص مسعود صحراوي مجمل التعديلات والمراجعات التي أجراها سيرل على النظرية والتي تشكل الإضافة النوعية التي تميز بها سيرل في ثلاث قضايا أساسية[20]:

1-إعادة النظر في تصور الفعل المتضمن في القول

2-إعادة تصنيف القوى الإنجازية

3-الأفعال الكلامية غير المباشرة

ويهمنا فيما قدّمه سيرل من تعديلات وإضافات نوعية أغنت النظرية وجعلتها تحظى بالكفاية النظرية والتفسيرية، وبالمتانة العلمية والإحكام المنهجي الصارم، ومن ثم جعلها تسد الثغرات التي تميزت بها النظرية إبان نشأتها الأولى عند أوستين، يهمنا قضيتان هما ربط اللغة بالعقل، إذ إن " فلسفة اللغة عنده جزء أساسي من فلسفة العقل"[21] ؛وما ترتب على ذلك من ربط الفعل الكلامي بالقصدية وهو مفهوم مركزي في فلسفة سيرل، ويمكنأن نضيف إليها المعايير الاثني عشر التي بموجبهايتم تصنيف الأفعال الكلامية، وهو الجديد الذي جاء به سيرل، ويختلف فيه عن أستاذه أوستين، ففي الوقت الذي ترتبط فيه اللغة عند أوستين بنظرية الفعل الاجتماعي أو الفردي عامة، فإن سيرل يوافقه في تلك الوظيفة للغة، ولكنه يختلف عنه في أن سيرل يربطها بأساس فلسفي هو فلسفة العقل، وهو الأمر الذي -نعتقد -أنه قد يغني شيئا من الإغناء العلاقة بين الأفعال الكلامية والحجاج، ومن هذا الربط يستشف أن المتكلم إذ يقول قولا فإنه يستدل فهو ينجز فعلا قصديا يتضمن بعدا استدلاليا للقيام بفعل ضمن هذا القول ومن هنا يربط الفعل بالمتكلم أكثر، ومن هنا يختلف سيرل عن أوستين الذي جعل الوظيفة الأساسية للفعل الكلامي هي

[20]-مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص160

[21]-نفس المرجع، ص159

الإنجاز أي الفعل بغض النظر أكان هذا الفعل صادرا عن قصد عقلي استدلالي يهدف إلى الإقناع أم لا يهدف، ومن جهة أخرى ربط الفعل التأثيري بالمخاطب ربما يكون من الأسباب التي جعلت أوستين يفصل بين الفعل المتضمن في القول والفعل الناتج عن القول، ومن جهة ثالثة اعتبار الفعل التأثيري حدثا فيزيائيا قد يتحقق وقد لا يتحقق، وقد يكون مقصودا وقد لا يكون مقصودا البتة، ومن هذا التفريق المتفرّع عن الأساس الفلسفي المرتبط بالفعل (الإنجاز) بالدرجة الأولى عند أوستين، وبين الأساس الفلسفي المرتبط بالعقل (فلسفة العقل)عند سيرل يتبين الفرق بين ربط الفعل الحجاجي بتبعات الفعل الإنجازي من طرف المتكلم عند المخاطب في نظر أوستين، وبين ربطه بالبعد الاستدلالي العقلي لدى المتكلم في نظر سيرل، ومن الأدلة على ذلك أن سيرل يرى "أن "الجدال(الحجاج) هو نوع من التوكيد الذي يرتبط أساسًا بمحاولة إقناع المرسل إليه"[22].

وأما القضية الثانية فتتعلق بالجديد الآخر الذي جاء به سيرل وجعل له موضعا مركزيا في نظرية الأفعال الكلامية، ألا وهو الأفعال الكلامية (الإنجازية) غير المباشرة، وهي إضافة ذات قيمة كبيرة في فهم وتحليل كثير من الظواهر اللغوية التي يكون المعنى فيها ما يقصد المتكلم وليس لمعنى الجملة في ذاتها؛ " ذلك أنّ معنى قول المتكلم ومعنى الجملة قد يتباينان على أنحاءٍ شتى في التلميح والتعريض والتهكم والاستعارة"[23] .

على أن ما يهمنا فيما له علاقة وثيقة بالأفعال الإنجازية غير المباشرة بالقصد الحجاجي (الفعل التأثيري) هو ما قرره سيرل نفسه المتمثل في ربطه لجدوى الأفعال الإنجازية غير المباشرة في المعنى

---

[22] - **SCOTT JACOBS. Speech Acts and Arguments. Volume 3, (1989).p22**

[23] -جون سيرل، العبارة والمعنى دراسات في نظرية الأعمال اللغوية، تر: شكري السعدي، معهد تونس للترجمة، ط1، 2021، ص61

بأهمية فلسفية أخرى ذات صلة وثيقة بعلم الأخلاق لما لبعض الكلمات كـ"الخير" و"الحق" و"الواجب"... في وجه من الوجوه من معنى توجيهي طلبي أو مرشد إلى العمل[24] .

على الرغم من سيرل لم تكن العلاقة بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري مما يدخل في أوليات انشغالاته في التنظير لتصنيف الأفعال الكلامية، وكذا معايير هذا التصنيف أو ما يتعلق بمفهوم القصدية الذي أضحى يؤطر فلسفته كلها... في كل ذلك لم يهتم بتلك العلاقة إلا لماما، ولم يتكرر حديثه عنها إلا عرضا على عكس ما يربط العلاقة بين فعل القول والفعل المتضمن في القول التي كانت مركزية في تنظيراته، وهو الأمر يجعل اهتمامه بها أقل من من اهتمام أستاذه أوستين، ولعل من أهم الأسباب في ذلك ما صرح به من أنّ الفعل المتضمن في القول هو المقصود من النظرية برمتها.

ويضاف إلى ما سبق أن مفهوم القصدية الذي جعله سيرل مركزيا في فلسفته، ربما يعد من الآفاق التي تؤكد الصلة الوثيقة بين الفعل الإنجازي والفعل التأثيري أيالفعل المتضمن في القول ة والفعل الحجاجي على اعتبار أن "الحجاج مرهون بالقصدية؛ لأن الجمل تحمل معنى مقصودا مثل الوعد أو الحكم... وبالتالي تكون القصدية مصدر قوة الفعل الإنجازي وحجاجيته، كما أن الفعل التأثيري نتيجة عن الفعل الإنجازي المتصل بالمعنى والقصد معا"[25]. فأصبح الفعل التأثيري ناتجا عن قصد يتوخاه المتكلم بعد أن كان نتيجة اعتباطية قد يكون مقصودا، وقد لا يكون كذلك في مشروع أوستين كما أشرنا سابقا، يضاف إلى ذلك ربطه المحكم بين مفهوم القصدية وبين اتجاهات المطابقة بين الكلمات وبين العالم، وما يمكن أن يؤدي إلى إحكام العلاقة بين القصد الحجاجي من

---

[24] -ينظر نفس المرجع، ص63

[25] -بوخشة، خديجة، التحليل الحجاجي للخطاب الشعري: دراسة في أفعال الكلام عند سيرل، مجلة السوسيولسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 3 العدد 1، ص35

وراء إنجاز الفعل الكلامي؛ فقد ربط سيرل بين هذين المفهومين (القصدية واتجاه مطابقة الكلمات للعالم بمفهوم السببية حيث يقول:" السببية هي علاقة واقعية بين الأشياء والأحداث في العالم وهي علاقة تتسبب من خلالها ظاهرة ما هي السبب بظاهرة أخرى هي النتيجة"[26].

فربط القصدية بمطابقة الكلمات للعالم وربطهما معا بالسببية من شأنه يربط الفعل الإنجازي بالفعل التأثيري ربطا وثيقا، والأهم من ذلك يصبح الفعل التأثيري (الحجاجي) مؤشر له في قصد المتكلم بكونه نتيجة لسبب، أو سبب يؤدي إلى نتيجة، وهو الأمر الذي يرتبط بالبعد الاقتضائي للغة كما سوف نرى عند أوزفالد ديكرو.

1-3-عند ديكرو

لقد بنى ديكرو وأنسكومبر أفكارهما على ما انتهى إليه أوستين وسيرل فيما يتعلق بنظرية الأفعال الكلامية، "إذ الخلاصة التي انتهت إليها نظرية الأفعال الكلامية الأنجلوساكسونية، ستشكل منطلق أعمال ديكرو وأنسكومبر في بناء النظرية اللسانية الحجاجية، وسيشكل مفهوم الفعل اللغوي، مرتكزا للحديث عن النشاط التلفظي ومن ضمنه الحجاج"[(27)].

فديكرو وزميله أخذا من نظرية الأفعال الكلامية فعلي "الحجاج" و"الاقتضاء"، وأقام على هذين الفعلين الكلاميْن أساس نظريتهما، ثم ضمّن نظريته الحجاجية المباحث اللسانية، فأراد أن يكون موضوع الحجاج لسانيا تماما لقدرة اللغة على إحداث تحويلات تأثيرية إقناعية أو إلزامية في المخاطب بما تمتلكه من عوامل حجاجية وروابط لغوية تؤدي إلى النتيجة؛ وهي التأثير في المخاطب أو إقناعه مثلا.

---

[26] -سيرل، العقل واللغة والمجتمع، تر، سعيد الغانمي، امنشورات الاختلاف، لمركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص24

[(27)] -الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد34، يوليو سبتمبر 2005، ص217

وأهم ما يمكن ملاحظته في عمل ديكرو هو اعتبار الحجاج فعلا كلاميا، وهو ما تتبدى معه العلاقة قويةً بين الحجاج والأفعال الكلامية، وفي هذا السياق فقد كان البعد الإنجازي ديكرو يسعى إلى إقامة الصلة بين البعد الإنجازي للغة والبعد التأثيري الإقناعي جاعلا الأول جزءا من الثاني، ليصل إلى قاعدة تؤطر نظريته الحجاجية كلها وصاغها بالقول "إننا نتكلم عامة بقصد التأثير"

يعد فعل الاقتضاء ثاني اثنين من الأفعال الكلامية التي أخذها ديكرو من نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل بعد فعل الحجاج، وحوّرها بما ينسجم مع نظريته وأسسَها النظرية والمنهجية والإجرائية، إن فعل الاقتضاء عند ديكرو هو مكون أساسي للفعل الحجاجي؛ إذ ينقسم الفعل الحجاجي عند ديكرو إلى فعل إقتضاء (Acte presuppose)، وفعل مفهوم(المضمرات) (Acte sous-entendu)، ويُصنَّف هذان النوعان ضمن الأفعال الكلامية غير المباشرة[28].

فالاقتضاء عند ديكرو من أهم الأفعال الكلامية -بعد الحجاج- التي استوحاها من نظرية الأفعال الكلامية، وأجرى عليهما تعديلات في المنهج والتنظير والتطبيق، ولذلك يجمل ديكرو تعريف الاقتضاء وأهم خصائصه وقيمته الحجاجية في الخطاب بأنّه "نمط خاص من المحتويات المرسومة في الملفوظات، ومن أهم خصائصها التداولية الحجاجية أنها تناسب حقائق يفترض أن للمرسل إليه علما بها سابقا بدهيات مشتركة أو وقائع خاصة ترجع على معارفه السالفة من أجل أن تكون ضربا من الأرضية التي تنبني المنطوقات التي من شأنها على العكس أن تناسب معلومات جديدة"[29].

---

[28] -ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص36

[29] - باتريك شارودو، ودمونيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة تونس، ط1، ،2008 ص455

وتتمثل وظيفة الاقتضاء الأساسية في التوجيه نحو النتيجة التي يريدها المتكلم؛ فهو"يُيَسر إدخال المخاطب ضمن اعتقادات المتكلم أو الإيهام بذلك بغية فرض قوله وما يستلزمه حجاجيا"[30].

فالاقتضاء عند ديكرو فعلٌكلامي ذو طبيعة خاصة فهو مثل الاثبات والاستفهام والأمر...؛ إذ يفرض الإلزام ويؤسس الحقوق والواجبات ويعيّن الأدوار؛ فهو بذلك يجبر المخاطب على التوجيه الوجهة التي يستلزمها المقتضى باعتبارة حقيقة مؤكدة لا يمكن النقاش فيها؛ لأنه لا يمكن من حيث المبدأ أن يُؤدَّى إلا على مستوى المثبت وليس المفترض [31].

غير ما ينبغي التنبه له في هذا الصدد أن الفعل الكلامي وإن كان يعد فعلا حجاجيا عند ديكرو إلا أنه لا يحقق تلك الخاصية الحجاجية الاقتضائية إلا في صيغته التركيبية المعتمدة على الربط بين عنصرين يمثل أحدهما الحجة والأخرى النتيجة، وهو الأمر الذي يجعل الفعل الحجاجي، فعلا كلاميا مركبا، ذلك أن "بنية الخطاب الحجاجي أساسا هي تلك الأفعال الكلامية المفردة، حاله حال أي خطاب آخر، إلا أنه لا يصدق عليه وصف الحجاجية إلا إذا تفاعلت تلك الأفعال تفاعلا مخصوصا يفضي إلى خطاب حجاجي" [32].

وعلى الرغم من ذلك فإن نظرية الحجاج اللغوي لدى ديكرو يمكن-إذا غضضنا الطرف عن مغالاتها في الوفاء للمبادئ البنيوية السوسيرية-أن تتقدم خطوة إلى الأمام في تمتين العلاقة بين الفعل الكلامي والفعل الحجاجي.

1-4-عند إيمرن وغروتندورست

---

[30] -شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطة إلى اليوم، ص374

[31]- -ينظر: جون سيرفوني، اللسانيات والتداولية، ترجمة ذهبية الحاج حمو، مقال منشور على موقع تخاطب، ص2

[32] - الشهري، عبد الهادي، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مؤسسة الانتشار العربي بيروت لبنان، ط1، 2013، ص279،280

تعدّ المدرسة الهولندية في الدراسات الحجاجية ممثلة في الباحثين فان إيمرن وروب غروتندورست نموذجا متميزا من النماذج التي سعت إلى البحث في النظرية الحجاجية عامة، وتعميق الصلة بين التداولية والحجاج خاصة، ولذلك يطلق على مشروعهما التداوليات الحجاجية[33] ، وقد تم عرض هذا النموذج الجامع بين التداولية والحجاج والنقد في كتابهما المشترك المسمى بالحجاج الجديد الذي سمي بالنموذج التداولي الحجاجي النقدي لأنه يجمع بين الجدلية الحجاجية والتداولية النقدية[34]

ولعل أهم ما ركزت عليه هذه النظرية الجامعة بين الحجاج والنقد والأفعال الكلامية هو أنها نبهت إلى الدور الكبير الذي تلعبه نظرية الأفعال الكلامية في إغناء وفهم الخطاب الحجاجي، هي حسب إيمرن وغروتندورست "تقدم وسيلة مناسبة للتعامل مع التواصل اللفظي الذي يتوخى حلّ اختلافات وجهات النظر، وباستعمال هذه النظرية يمكن وصف الخطوات اللفظية المتخذة في مراحل المناقشة النقدية المتنوعة لجلب الاختلافات في وجهات النظر بأنها أفعال كلامية"[35]. مؤكدين في الوقت ذاته بوجوب تنقيح وتطوير نظرية الأفعال الكلامية بما يتناسب مع مستوى الخطاب، " وذلك بالتفريق بين القوة التواصلية على مستوى الجملة من جهة أولى والقوة التواصلية إلى حد ما " أعلى"أي مستوى النص؛ ففي مستوى النص فقط يمكن أن يكون لملفوظ الفعل الكلامي قوة الحجاج التواصلية؛ ليكون الخطاب الحجاجي برمته هو الفعل الكلامي المركب وبهذا يتبوأ مكانة الفعل الحجاجي" [36]

---

[33] -ينظر: عليوي أباسيدي، في التداوليات الحجاجية للحوار التفكير النقدي نموذج المدرسة الهولندية عند إيمرن وغرةتندورست، مقال ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010، ص360

[34] -ينظر نفس المرجع، ص360

[35]- Frans H. van Eemeren and others. Argumentative Indicators in Discourse Springer Science & Business Media, 2007 -.p12

[36] -الشهري، الخطاب الحجاجي عندابن تيمية، ص290

وعلى الرغم من الأفق النظري الذي سعى هذا الاتجاه للوصول إليه والتأطير له والبحث فيه، وتأكيده المستمر على وثاقة العلاقة بين الأفعال الكلامية والحجاج إلا أن أبحاثهما وما توصل إليه من نتائج ظلت غائمة وقليلة الجدوى على مستوى الكفاية التفسيرية، لأنها نظرية الطابع لم تقدم تحليلا إجرائيا تتجلى به وجاهة العلاقة بين النظريتين من جهة، ولاهتمامها بالبعد النقدي المتمثل في الاهتمام بحل الخلافات وتعارض وجهات النظر، وعلاقة ذلك بصلاحية الحجة وعدم صلاحيتها ومناسبتها للسياق من عدمه إلى غير ذلك؛ وهو الأمر الذي جعلها تنأى بجانبها عن الوجاهة التفسيرية كما عُهدت عند رائدي الأفعال الكلامية أوستين وسيرل من جهة، وكما عُهدت عند رواد النظرية الحجاجية ولاسيما بيرلمان ثم ديكرو من جهة أخرى.

2-1-الفعل الكلامي البسيط والفعل الكلامي المركب وعلاقتهما بالفعل الحجاجي:

يقرر طه عبد الرحمان بأن الفعل الحجاجي فعلٌ كلامي مركب، وأن الأفعال الكلامية البسيطة لا ترد فيه مستقلة عن بعضها البعض لأنها "وحدات حوارية حجاجية تتمثل في المركبات التي هي أقوال"[37]، كما ويؤكد عبد الهادي الشهري بأن الأفعال الكلامية هي الأساس التي يتكون منه كل خطاب حجاجي إلا أن الخطاب الحجاجي لا يتحقق إلا بإنجاز الأفعال البسيطة، إذ لو حللنا أي خطاب طبقا لمعيار البساطة والتركيب، وانتزعنا منه الأفعال الكلامية البسيطة لنزعنا منه في الوقت عينه صفته الحجاجية[38]، مؤكدا بأن "مجرد التلفظ بأي فعل كلامي بسيط لا يرتقي به إلى الاتصاف بأنه فعل حجاجي إلا لم يكن في سياق كذلك"[39].

---

[37]-طه، عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص286

[38]-الشهري، عبد الهادي، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، ص286

[39]- ينظر: نفس المرجع، ص286

ونظرا لطبيعة الخطاب الحجاجي المركبة يخلص الشهري إلى نتيجة مفادها أن نظرية الأفعال الكلامية قد لا تستجيب، بإطارها الحالي وأدواتها المنهجية له بوصفها أكبر من مستوى الملفوظ المفرد، لذلك ينيغي تقيحها بما يتناسب مع مستوى الخطاب[40].

خاتمة

سعينا في هذا البحث إلى محاولة رصد أبعاد العلاقة بين أهم نظريتين تداوليتين في اللسانيات المعاصرة وهما نظرية الأفعال الكلامية ونظرية الحجاج، محاولين معرفة طبيعة العلاقة بين الفعل الكلامي والفعل الحجاجي ممثلة في العلاقة بين الفعل المتضمن في القول وبين الفعل التأثيري(الناتج عن القول)، وما تميزت به هذه العلاقة من قرب وبعد ووصل وفصل... عند رائد النظرية:أوستين ثم سيرل اللذين يمثلان الطرف الأول في العلاقة(نظرية الأفعال الكلامية)، كما رصدنا هذه العلاقة بين الفعل الكلامي والفعل الحجاجي عند فلاسفة الحجاج ولاسيما ديكرو وأنسكومبر فيما سمي بنظرية "الحجاج اللساني" من جهة وفان إيمرن وغروتندورست فيما سمي بنظرية التداولية الحجاجية من جهة أخرى باعتبار النظريتين ممثلتين للطرف الثاني من العلاقة وهو الحجاج، وتوصلنا في إلى هذه العلاقة ظلت نسبية، ولم تحظ بالاهتمام الكافي من رواد نظرية الأفعال الكلامية بسبب المعايير والأطر المنهجية التي التزموا بها، وأهمها المواضعة والقصدية التي تتوفر في الفعل الإنجازي، ولا تتوفر دائما في الفعل التأثيري، في حين حظيت تلك العلاقة بالاهتمام من منظري الحجاج، وإن تراوح هذا الإهتمام بين التنظير في النظرية التداولية الحجاجية عند

[40] - ينظر: نفس المرجع، ص289

إيمرن وغروتندورست وبين الإجراء عند ديكرو وأنسكومبر على الرغم مما اعتراها من صعوبات وعثرات بسبب الاهتمام بالبعد النقدي النظري في الأولى وغلبة البعد البنيوي العازل للبعد السياقي في الثانية، وهو الأمر الذي يجعل هذه العلاقة في حاجة إلى تعميق النظر لمحاولة استكشاف العلاقة التي ظلت توظف على المستوى التطبيقي في تحليل النصوص على الرغم مما يلفّها من استشكالات على المستوى النظري وهوما نخصص له بحثا آخر نعمق فيه النظر أكثر في تلك العلاقة من خلال توظيف أطر نظرية كمفهوم "القصدية"وعلاقته بـ"السببية" وتوظيف "الأفعال الكلامية غير المباشرة" ومعيار "اتجاهات المطابقة" وغيرها في نظرية الأفعال الكلامية مع الاستفادة من التراث البلاغي العربي وما جادت به قرائح علمائنا القدامى البالغة القدر والعظيمة القيمة تنظيرا وتطبيقا لمحاولة إيجاد صيغة انتظامية للفعل التأثيري في علاقته بالفعل الإنجازي إن شاء الله تعالى.

- **<u>قائمة أهم المراجع:</u>**

1-حسان الباهي، اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

2-صحراوي، مسعود، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة، عمان الأردن. ط1، 2023.

3- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

4-العشراوي، عبد الجليل، آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، ط1، 2016.

5-أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ط1، 1991.

6-شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية، ميسكلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

7-الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد34، يوليو -سبتمبر 2005،

8- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال اهم مظاهره الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط2 ،2007.

9- باتريك شارودو، ودومونيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة تونس، ط1، 2008.

10-شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.

11-جون سيرل، العبارة والمعنى دراسات في نظرية الأعمال اللغوية، تر: شكري السعدي، معهد تونس للترجمة، ط1، 2021،

12-سيرل، العقل واللغة والمجتمع، تر، سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، لمركز الثقافي العربي، ط1، 2006،4

13- الشهري، عبد الهادي، الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية، مؤسسة الانتشار العربي بيروت لبنان، ط1، 2013.

14-عليوي أباسيدي، في التداوليات الحجاجية للحوار التفكير النقدي نموذج المدرسة الهولندية عند إيمرن وغروتندورست، مقال ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010.

15-طه، عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي.المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1990

المراجع باللغة الأجنبية

1- Frans H. van Eemeren and others. Argumentative Indicators in Discourse Springer Science & Business Media, 2007.

2-Catherine Kerbrat-Orecchioni. Les actes de langage dans le discours. Nathan. Paris.

3- SCOTT JACOBS. Speech Acts and Arguments. Volume 3, (1989).

1-جون سيرفوني، اللسانيات والتداولية، ترجمة ذهبية الحاج حمو، مقال منشور على موقع تخاطب،

2--بوخشة، خديجة، التحليل الحجاجي للخطاب الشعري: دراسة في أفعال الكلام عند سيرل، مجلة السوسيولسانيات وتحليل الخطاب، المجلد 3 العدد 35.

3-مسعود صحراوي، ديباجة مؤتمر البلاغة بين الأصول التراثية والرؤى الحديثة، أقيم في كلية الأداب واللغات جامعة الأغواط يوم 13.14 ديسمبر2018.